الدرس السادس والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد:

يقول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى في «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

بابٌ لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان» فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام)).

****

قال المصنف الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه التوحيد : ((**بابٌ لا يقال السلام على الله**)) ؛ وهذه الترجمة عقدها رحمه الله تعالى للنهي عن ذلك ، وذلك لأن السلام عندما يقال "السلام عليكم" أو "السلام على فلان" هو طلبٌ للسلامة ، والله سبحانه وتعالى هو السلام المنزَّه عن النقص والعيب جل في علاه ، المدعو وليس المدعو له ، والمطلوب المتجَه إليه في السؤال وليس المطلوب له ، بل هو الذي يُلتجأ إليه ويُطلب منه سبحانه وتعالى ، فمن الخطأ أن يقال "السلام على الله" لأن الله هو السلام ، وما يكون من سلامٍ للناس فهو منه تبارك وتعالى ، ولهذا جاء في الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول دبر كل صلاة : «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ؛ أنت السلام : أي السلام اسمك ووصفك ، وهو من أسماء التنزيه كالسبوح والقدوس .

ومعنى السلام : أي المنزَّه السالم ، المنزه عن النقائص والعيوب ، المنزه عن مماثلة المخلوقات ، فالله عز وجل هو السلام السالم من النقائص والعيوب جل وعلا .

ومنه السلام : أي كل سلام يحصل فهو من الله وهو المتفضل به جل في علاه سبحانه وتعالى ؛ فلا يجوز أن يقول القائل "السلام على الله" لأن السلام اسم من أسماء الله ، ولهذا جاء في الحديث الذي ساقه المصنف رحمه الله ((فإن الله هو السلام)) ، ولأن السلام هو طلب السلامة ، «السلام عليكم» فيه طلبٌ للسلامة لمن يلقى عليه ، والله عز وجل هو السلام الذي يُطلب منه ، لا يُطلب له وإنما يطلب منه سبحانه وتعالى وهو الغني الحميد ، وفي

الحديث القدسي : ((إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي)) . قال رحمه الله: ((باب لا يقال السلام على الله))

قال : ((**في الصحيح عن ابن مسعود عبد الله رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان**)) ، وجاء في بعض روايات الحديث ما يفيد أنهم كانوا يقولون ذلك في التشهد ، ولهذا لما نهاهم قال لهم عليه الصلاة والسلام : ((ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصاحين)) .

فقال: ((**كنا نقول السلام على الله ونقول السلام على فلان وفلان**)) ؛ ففيما يتعلق بالأولى وهي قولهم السلام على الله قال صلوات الله وسلامه عليه : ((**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**)) نهاهم عن ذلك ، وهذا بيانٌ أن هذه الصيغة غير جائزة وفيها من المخالفة ما نبَّه عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ((فإن الله هو السلام)) ، هو السلام : أي المنزه سبحانه وتعالى عن النقائص والعيوب جل وعلا ، والسلام الذي كل سلامة إنما تكون منه وتُطلب منه ويلتجأ فيها إليه وحده سبحانه وتعالى ، ولهذا مر معنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ» ، فهو السلام أي المنزه سبحانه وتعالى ، وكل سلامٍ يحصل للعباد فهو من الله سبحانه وتعالى ؛ فنهاهم عن قولهم السلام على الله وبيَّن أن هذا يتنافى مع المعرفة والإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو السلام أي المنزه ، وكل سلامٍ يُطلب منه لا يطلب له سبحانه وتعالى لأنه هو المنزه جل وعلا المدعو الملتجأ إليه المفتقَر إليه سبحانه وتعالى في كل الحاجات .

وأيضا قول الصحابة رضي الله عنهم في التشهد «**السلام على فلان السلام على فلان**» يعنون أو يسمون عددًا من الملائكة بأسمائهم ؛ السلام على جبريل ، السلام على ميكائيل ، السلام على إسرافيل ، يسمون عددا من الملائكة ويسمون أيضا عددًا من عباد الله ، وهذا أمرٌ يطول ولا يحصل به استيفاء ، لأنه منهما عدَّد الإنسان طال به العد والذكر للأشخاص ثم في نهاية الأمر يكون فاته الشيء الكثير ، فأرشدهم عليه الصلاة والسلام أن يقولوا : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنهم إن قالوا ذلك نالت كل عبدٍ صالح في السماء أو الأرض ؛ وهذا من كمال الأدعية النبوية المأثورة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وأنها جمعت أعلى المطالب وأشرف المقاصد وفي الوقت نفسه سلِمت من الخطأ ، لأن الدعوات المأثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أدعية معصومة سالمة من الخطأ .

لكن هنا وقفة جديرة بالأهمية : مَن الذين كانوا يقولون السلام على الله ؟ ويقولون السلام على فلان وفلان وفلان؟ حتى وجَّههم النبي عليه الصلاة والسلام هذا التوجيه فيما يتعلق بالأمرين ؛ فيما يتعلق بالسلام على الله نهاهم عن ذلك وقال: ((لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام)) ، وفيما يتعلق السلام على فلان وعلى فلان وعلى فلان بيَّن لهم هذا اللفظ الجامع أن يقولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» وأخبر أن هذه

الكلمة الجامعة تشمل وتتناول كل عبدٍ صالح في السماء والأرض ؟ الذين كانوا يقولون ذلك في تشهدهم الصحابة الكرام ؛ وهم من هم في الفضل والخيرية وسلامة اللغة وسلامة اللسان وحُسن الإيمان والطاعة لله سبحانه وتعالى ومع ذلك حصل هذا الخطأ الذي نبه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ونهاهم عنه ، وسيأتي معنا في باب لاحق ((لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ،اللهم ارحمني إن شئت)) فكان ينبّه صلوات الله وسلامه عليه على مثل هذه الأشياء .

نستفيد من ذلك أن أدعية الناس عدا أدعية الرسل عليهم الصلاة والسلام ليست معصومة ، الخطأ وارد فيها ، ليس فيها عصمة من الخطأ ، ليس فيها أمَنَة من الزلل ، وأما الدعوات المأثورة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه فهي أدعية معصومة لا يتطرق إليها الخطأ إطلاقا وفي الوقت نفسه جمعت الخير كله ، اشتملت على غاية المطالب العلية والمقاصد الرفيعة وحوَت جوامع الكلم كما مر معنا في قوله ((ولكن قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)) وهذا من جوامع كلم النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وإن تعجب فعجبٌ حال كثير من الناس استعاضوا عن الأدعية الصحيحة المأثورة عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام بأدعية كتبها بعض المتكلفين واخترعها بعض المتخرصين واشتملت على الباطل أو شيء كثير من الباطل، حتى إن بعضها فيها من الألفاظ الشركية والكلمات البدعية والألفاظ الضالة والكلمات التي فيها تجاوز وتعدي!! ومع ذلك ترى بأيدي كثير من الناس يقرأونها قراءة مستمرة كل يوم، ويتركون الدعوات العظيمة المأثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام . وهذا أمر خطير جدًا ، كثير من الناس بأيديهم أحزاب أو أوراد أو أدعية وإذا فتشت فيها وإذا هي أدعية كتبها بعض المتكلفين وأنشأها بعض المتخرصين ، وعند النظر في كثير منها يجد المتأمل أن فيها أخطاء تصل في بعضها إلى الشرك والبدعة والضلال ، وهذه والله مصيبة ؛ ولهذا ينبغي أن يتنبه المسلم لهذا الأمر ويحذر أشد الحذر من مثل هذه الكتب ويتركها جانبًا ويُقبل على الدعوات المأثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فإنها دعوات معصومة سالمة من الخطأ والزلل ، وفي الوقت نفسه أتت على غاية المطالب وأجل وأعظم المقاصد .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى: تفسير السلام.

تفسير السلام ؛ عندما يقال «السلام على فلان» أو «السلام عليكم» فالسلام : هو طلب السلامة من الشرور من الأضرار من الآفات من المصائب ، فالسلام: هو طلب السلامة ، والله عز وجل يُطلب منه ولا يُطلب له جل وعلا ، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقول القائل "السلام على الله" ، ثم إن «السلام» اسم من اسماء الله الحسنى كما في الحديث قال ((فإن الله هو السلام)) فالسلام اسم من أسمائه ، قد ورد هذا الاسم في

القرآن الكريم في أواخر سورة الحشر قال الله عز وجل ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ [الحشر:٢٣] ، فهو اسم من أسماء الله عز وجل الحسنى ومعناه: أي المنزه عن النقائص والعيوب ، فهو من أسماء التقديس والتنزيه .

الثانية: أنه تحية.

أي السلام تحية ، عندما يقال "السلام على فلان ، السلام على فلان" هذه تحية ؛ تحية فيها الدعاء للمسلَّم عليه بالسلامة وأن ينيله الله ويمنّ عليه بالسلامة ، يطلبها له من الله سبحانه وتعالى .

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

أنها لا تصلح لله ؛ لأنه تبارك وتعالى هو السلام ، ولأن قول القائل "السلام على الله" فيه طلب السلامة والله عز وجل لا يُطلب له وإنما يُطلب منه ، فهو السلام ومنه السلام .

الرابعة: العلة في ذلك.

العلة في ذلك وهي مبيَّنة في الحديث حيث قال عليه الصلاة والسلام : ((فإن الله هو السلام)) .

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

لأنه لما نهاهم عن ذلك جاء في بعض الروايات أنه قال: ((ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات)) فهذه التي تصلح لله ، ومعنى التحيات لله: أي التعظيمات ، كل ما يكون من ذل وخضوع وانكسار كل ذلك لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى :

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له)) . ولمسلم: ((وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)) .

****

قال رحمه الله تعالى ((**بابٌ قول: اللهم اغفر لي إن شئت**)) ؛ هذه اللفظة في الدعاء «اللهم اغفر لي إن شئت» نظيرها : اللهم ارزقني إن شئت ، اللهم اهدني إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ونحو ذلك جاء عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه النهي عنها في الحديث الذي ساقه المصنف رحمه الله تعالى ، لماذا ؟ لأنها لفظةٌ ليس فيها عزم في المسألة والطلب والإلحاح على الله سبحانه وتعالى ، بل إنها تدل على فتور في الرغبة وارتخاء في العزيمة والطلب وعدم الاهتمام ، والواجب على العبد في طلبه من الله سبحانه وتعالى أن يُظهر الافتقار والاحتياج إلى الله سبحانه وتعالى ويلح على الله في مطلوبه جزمًا وعزمًا وإلحاحًا ، أما إذا قال "اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، اللهم ارزقني إن شئت" ونحو ذلك فهذا يدل على شيء من الفتور والارتخاء وعدم العزم في الطلب والإلحاح على الله سبحانه وتعالى ؛ فجاء عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه النهي عن ذلك .

قال رحمه الله : ((**في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة**)) ؛ وهذا يفيد أن لفظة «اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، اللهم ارزقني إن شئت ، اللهم اهدني إن شئت» ليس فيها عزمًا في المسألة بل فيها ارتخاء وفتور في الطلب ؛ فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : ((**ليعزم المسألة**)) أي لتكن مسألته عزمًا بإلحاح وصدق إقبال على الله عز وجل وقوة رغبة وطمع فيما عند الله سبحانه وتعالى مهما عظم مطلوب العبد ، مهما عظم مطلوب العبد فعليه أن يعزم في المسألة لا يقول في دعائه "اللهم أدخلني الجنة إن شئت ، اللهم نجني من النار إن شئت ، اللهم أدخلني برحمتك إن شئت" ونحو ذلك هذا كله ينهى عنه ، والواجب أن يكون دعاء العبد وسؤاله لربه سبحانه وتعالى عزمًا ،قال : ((**ليعزم المسألة**)) .

((**فإن الله لا مكره له**)) وهذا يفيد أن النهي عن هذه اللفظة أولًا لأمرٍ يتعلق بالعبد؛ بحيث لا تكون دعواته وسؤاله لربه سبحانه وتعالى تأتي رخوةً بفتور وعدم عزم ليعزم المسألة ، لتكن ألفاظه فيها العزم وصدق الطلب والإلحاح ، أما لفظة «إن شئت» فإنها تدل على شيء من الفتور والارتخاء وعدم قوة الرغبة في الطلب والسؤال من الله سبحانه وتعالى .

الأمر الثاني يتعلق بالله سبحانه وتعالى؛ قال ((**فإن الله لا مكره له**)) ، وفي رواية لمسلم قال عليه الصلاة والسلام: ((فإن الله صانعٌ ما شاء لا مكره له)) أي لا يضطره سبحانه وتعالى في إعطائه العطاء ومنّه بالمن وتفضله سبحانه وتعالى لا يضطره دعاء العبد او إلحاح العبد ، بخلاف المخلوق ، المخلوق قد يُسأل ويُطلب منه فيعطي من سأله عن كُره ، إما خوف أو لأسباب أخرى كثيرة فيعطيه وهو كاره ، يعطيه وهو ليس راغب في إعطائه .

وفي الطلب من المخلوق لكون هذه حال المخلوق يناسب أن يقال في الطلب منه "أعطني الشيء الفلاني إن شئت" يعني أنا لا ألح عليك ولا أشدد في الطلب منك لئلا تعطيني وأنت كاره ، فكلمة «إن شئت» تعطي هذا المعنى ، ولهذا تناسب للمخلوق لأن المخلوق قد يعطي وهو كاره ، يعطي كرهًا لأسباب كثيرة ، فيناسب لو قال

إنسان لمخلوق "أعطني الشيء الفلاني إن شئت" يعني أنا لا أكرهك لا أضطرك إلى هذا الشيء ، أما الله سبحانه وتعالى فهو صانع كل شيء ، وعطاؤه سبحانه وتعالى كلام مهما كان المطلوب ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢] ، عطاؤه سبحانه وتعالى كلام يقول للشيء كن فيكون جل في علاه سبحانه وتعالى ، فلا يصلح أن يقال في الطلب والسؤال والالتجاء إلى الله "اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت" بل ليعزم المسألة والله سبحانه وتعالى لا مكره له ، قال: ((فإن الله لا مكره له)) .

قال: ولمسلم ((**وليعظِّم الرغبة**)) بتشديد الظاء . الرغبة: المطلوب الذي تطلبه من الله ؛ عظِّم الرغبة ، اطلب من الله سبحانه وتعالى من خيري الدنيا والآخرة ما شئت ولا تتعاظم مطلوبًا ولا تقُل هذا أمر كبير وعظيم ، فالله لا يتعاظمه شيء ، إذا قيل في إنسانٍ ما "تعاظم عليه الأمر الفلاني" أي عسُر وأعياه وأعجزه ، عندما يقال "فلان تعاظمه كذا" يعني: ما استطاع أعجزه أعياه عسُر عليه أن يقوم به . فيقول عليه الصلاة والسلام ((**وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**)) مهما كان مطلوبك اطلب من الله واعزم وادع الله سبحانه وتعالى وأنت موقن بالإجابة ولا تقل هذا أمر عظيم هذا أمر كبير ، لا يدُر في خلَدك توقعات أن هذا لا يحصل لا يتعاظمه شيء سبحانه وتعالى ، مهما عظُم المطلوب وكبُر ألح على الله ، لا تتعاظم أمرًا فتنزل في دعائك .

لعلي ألفت بمثال ربما يوجد عند بعض العامة : النبي عليه الصلاة والسلام لما وجَّه ودعا إلى سؤال الجنة قال : ((إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ)) ؛ أعظِم الرغبة ، بعض العوام ينزل في دعائه ويقول : "أسأل الله أن يدخلني الجنة ولو عند الباب" !! لا ؛ أعظِم الرغبة ، لا يتعاظمه سبحانه وتعالى شيء ، اصدق مع الله ، ادع الله وأنت موقن بالإجابة الله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيء ، ((إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ)) .

فهذا فيه أن الواجب على العبد –وهذا من تمام توحيده وإيمانه وصدق دعائه وإلحاحه على الله سبحانه وتعالى– أن تكون دعواته عزمًا وجزمًا وإلحاحًا وصدقًا مع الله سبحانه وتعالى في الطلب ، ولا يأتي بمثل هذه الألفاظ "اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، اللهم اهدني إن شئت ، اللهم أدخلني الجنة إن شئت" ؛ هذه كلها خاطئة لأنها تتنافى مع العزم في الطلب ، وفيها أيضًا ما نبه عليه صلوات الله وسلامه عليه بقوله ((فإن الله لا مكره له)) .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الاستثناء في الدعاء: أي قول القائل " اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، اهدني إن شئت" هذا يسمى استثناء في الدعاء ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستثناء في الدعاء بأن يقول القائل " اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت" بل تكون الدعوة فيها العزم والصدق والإلحاح على الله سبحانه وتعالى .

الثانية: بيان العلة في ذلك.

بيان العلة في ذلك بقوله: ((فإن الله لا مكره له)) .

الثالثة: قوله: "ليعزم المسألة".

وهذا تنبيه آخر على ما في تلك الدعوة التي فيها الاستثناء من خطأ أنها ليس فيها العزم ، والذي ينبغي على الإنسان في دعائه أن يعزم ، قال : ((ليعزم المسألة)) أي لتكن مسألته عزما بإلحاح وصدق إقبال على الله سبحانه وتعالى ، لا أن تكون بمثل هذه الألفاظ التي فيها شيء من الفتور والارتخاء وعدم العزم .

الرابعة: إعظام الرغبة.

لأن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام قال: ((وليعظِّم الرغبة)) ، والرغبة: هي المطلوب ، إذا طلبت من الله سبحانه وتعالى أيَّ أمر من الأمور لا تتعاظم ذلك ولا تقل هذا أمر عظيم أو قد لا يكون أو نحو ذلك ، بل عظِّم الرغبة أي المطلوب .

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

التعليل لهذا الأمر : أي في قول النبي صلى الله عليه وسلم ((فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)) ، مهما عظُم المطلوب ومهما كبُرت الحاجة فإن الله لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره ولا حاجةٌ يُسألها سبحانه وتعالى أن يعطيها ، وهو الغفور الرحيم الجواد الكريم .

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ لا يقول عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضىء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي ، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي)).

****

قال رحمه الله تعالى : ((**بابٌ لا يقول عبدي وأمتي**)) ؛ أي لنهي النبي صلوات الله وسلامه عليه عن ذلك ، وذلك صيانةً لجناب التوحيد وحفظًا لمقامه ، وابتعادًا عن الألفاظ التي قد تتضمن أو تشعِر بشيء من المخالفة أو المنافاة لما ينبغي أن يكون عليه العبد من تعظيمٍ لجناب الرب سبحانه وتعالى وربوبيته سبحانه وتعالى على عباده ، وأن العباد عباد الله ، والإماء إماء الله سبحانه وتعالى ، وهو جل وعلا رب العالمين ، حتى وإن كان هذه الألفاظ مقصودٌ بها معنى معيَّن خاص ؛العبودية عبودية الرق ، إن كان المقصود معنى خاص لكن تجنب هذه الألفاظ جاءت به الشريعة صيانة لجناب التوحيد ، وبعدًا عن الألفاظ التي قد يكون فيها شيء من الخطأ والمخالفة والمنافاة لما ينبغي أن يكون عليه العبد من تعظيمٍ للرب سبحانه وتعالى .

قال : ((**في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك**)) وفي الصحيح أيضًا ((اسقِ ربك)) ؛ «أطعم» من الإطعام ، «وضئ» من الوضوء ، و«اسق» من السقي سقي الماء ، فلا يقل أحدكم أطعم ربك سواء كان يعني بذلك نفسه إذا كان هو المالك لهذا المخاطَب ، أو يعني غيره إذا كان يأمره أن يخدم مالكه وسيده ؛ فلا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك، مع أن من يقول هذه الكلمة مراده بها واضح ، لأن «رب» من معانيها الصاحب والمالك ، فالمقصود بـ«ربك» أي صاحبك ومالكك ومن أنت عبدٌ عنده ومملوك له ، هذا هو المراد بهذه الكلمة .

و«رب» تطلق على غير الله سبحانه وتعالى مضافةً وهي تكون بهذا المعنى ، أما محلاةً بأل مجردة عن الإضافة لا يجوز أن تطلق إلا على الله ؛ «الرب» هذه لا تطلق إلا على الله سبحانه وتعالى ، لكن جاء النهي هنا أدبًا مع الله سبحانه وتعالى وصيانةً للألفاظ أن لا يقل أحد " أطعم ربك ، وضئ ربك ، اسق ربك" ؛ كل ذلك صيانة للأدب مع الله سبحانه وتعالى .

((**وليقل: سيدي ومولاي**)) والمراد بالسيادة كما يدل عليه معنى هذه الكلمة : الرئاسة والتقدم . فسيدي: أي من يملكني .

((**وليقل: سيدي ومولاي**)) أي من بيده ولاية أمري وشئوني ويملك منافعي ، ((وليقل: سيدي ومولاي)) فنهى عن لفظ وذكر البديل صلوات الله وسلامه عليه الصحيح المناسب ، وهذا فيه ما سبق التنبيه عليه .

((**ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي**)) أيضا للمعنى نفسه ؛ أدبًا مع الله ، وإن كان من يقول عبدي وأمتي يقصد بذلك عبودية الرق ، لكن أدبًا مع الله سبحانه وتعالى يُتجنب هذا اللفظ وإن كان المقصود به معنًى صحيح .

وهذا نستفيد منه : أن الشريعة كما أنها جاءت بصيانة العقائد وسلامتها أيضا جاءت بصيانة الألفاظ وحُسنها ، حتى الألفاظ المحتملة التي يُخشى أن تفضي أو تدل على معاني فاسدة جاءت الشريعة بالنهي عنها حمايةً لجناب التوحيد وصيانةً لمقامه العلي الرفيع .

قال: ((**ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي**)) لأن العبيد كلهم عبيد الله والإمام إماء الله ، وفي الدعاء المأثور دعاء الهم «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك» ، فالعبيد كلهم عبيد الله ، والإماء كلهن إماء الله سبحانه وتعالى ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] .

((**فلا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**)) ؛ ذكر عليه الصلاة والسلام البديل الصحيح المناسب .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

كما تقدم في الحديث قال : ((لا يقل أحدكم عبدي وأمتي)) .

الثانية: لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك.

لا يقول العبد أي لسيده ربي ، لا يقول في مخاطبته ومناداته لسيده ربي ، ولا يقال له: أطعم ربك ، لا يقول له هذه الكلمة لا سيده ولا أيضا غيره؛ لما في هذه اللفظة من المخالفة ، وللنهي عنها صيانةً لمقام التوحيد وجنابه الرفيع .

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

أي أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما ينهى عن لفظٍ خاطئ فإنه صلوات الله وسلامه عليه يذكر البديل الصحيح المناسب .

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

وهذا الذي لأجله أورد المصنف رحمه الله تعالى هذه الترجمة في كتاب التوحيد ؛ لأن فيها صيانة للتوحيد حتى في الألفاظ ، وينبغي أن تراعى الألفاظ صيانةً للتوحيد . ولعلك تلاحظ في كثير من الناس عندما يأتي بألفاظ خاطئة وربما بعضهم تكون ألفاظه فيها منافاة صريحة لأمور تتعلق بالاعتقاد وأمور تتعلق بالتوحيد يعتذر بأن قصده سليمًا وأنه لم يقصد كذا وكذا ، يقال له : الشريعة كما أنها جاءت بإصلاح المقاصد فهي أيضا جاءت بإصلاح الألفاظ، لا يكفي سلامة المقصد واختلال الألفاظ ، بل الألفاظ يجب أن تصان ، حتى وإن كان مقصد الإنسان سليمًا يجب عليه أن يصون ألفاظه وأن يبتعد عن كل لفظٍ يُخل بالتوحيد أو يتنافى معه أو يفضي إلى أيضا

الإخلال بالتوحيد ؛ فكل ذلك يجب أن يتجنبه العبد لأن الشريعة فيها صيانة المقاصد والعقائد والقلوب ، وفيها أيضا في الوقت نفسه صيانة الألفاظ .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

بابٌ لا يُرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

****

قال رحمه الله تعالى : ((**بابٌ لا يُرد من سأل بالله**)) ؛ وهذا فيه أن من توحيد الله سبحانه وتعالى وتعظيمه أن لا يرد من سأل بالله ، إذا سأل سائلٌ غيره بالله كأن يقول: "سألتك بالله ، أو إني سائلك بالله ، أو أسألك بالله" أو نحو ذلك فمن سأل بالله لا يرد تعظيمًا لله سبحانه وتعالى مِن أن يُردَّ من سأل به سبحانه وتعالى ؛ وهذا من تمام توحيد العبد لربه وكمال تعظيمه لمولاه سبحانه وتعالى أن لا يرد من سأله بالله جل وعلا . وهذا يفيد أن هذا النهي –نهي أن يرد من سأل بالله تبارك وتعالى– متعلقٌ بمقام التوحيد ومقام التعظيم لله ، وأن من كمال تعظيم العبد لربه سبحانه وتعالى أنه إذا سُئل بالله أن لا يرد السائل .

وأورد رحمه الله تعالى تحت هذه الترجمة حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**من سأل بالله فأعطوه**)) ؛ أي من سألكم بالله ؛ قال في خطابه "أسألك بالله ، سألتك بالله ، إني سائلك بالله أن تعطيني كذا" فأعطوه ، والأصل في الأمر للوجوب ، قال ((فأعطوه)) ، إذا سألك بالله فأعطه ما سأل ، لكن هذا فيما يتعلق إما فيما كان له فيه حق ، أو كان مضطرًا إلى ذلك له فيه ضرورة وهو فضلٌ وزائد عند المسؤول ، أما إذا كان فيه مضرة على المسؤول فإنه لا يلزمه أن يعطيه ، لأن من قاعدة الشريعة «لا ضرر ولا ضرار» ؛ فإذا قال قائل لآخر: "أسألك بالله أن تعطيني كذا" وفيه ضرر عليه لا يعطيه لا يلزمه ، وإنما يكون ذلك فيما له فيه حق ، أو فيما هو مضطر إليه وهو فضل وزائد عند الإنسان أو نحو ذلك فإنه يعطيه ولا يرده لاسيما وقد سأله بالله سبحانه وتعالى .

قال : ((**ومن استعاذ بالله فأعيذوه**)) ؛ قال "أعوذ بالله منك ، أو أنا مستعيذ بالله منك ، أو اللهم أعذني من فلان" أو نحو ذلك ، من استعاذ بالله فأعيذوه ، لأنه استعاذ بمعاذ ولجأ إلى عظيم سبحانه وتعالى ، وفي الحديث في قصة الجوْنية –والحديث في صحيح البخاري– لما دخل عليها النبي عليه الصلاة والسلام وقالت «أعوذ بالله منك» قال صلوات الله وسلامه عليه : ((عذتِ بمعاذ إلحقي بأهلك)) التجأتِ واستعذتِ بعظيم جل وعلا قال

((إلحقي بأهلك)) . فيقول عليه الصلاة والسلام : ((من استعاذ بالله فأعيذوه)) وهذا في معنى ما قبله ((من سألكم بالله فأعطوه ، ومن استعاذ بالله فأعيذوه)) أي تعظيمًا لله سبحانه وتعالى .

((**ومن دعاكم فأجيبوه**)) دعاكم إلى وليمة أو نحو ذلك فأجيبوه ؛ أي أجيبوه فيما دعاكم إليه ، وهذا من حقوق المسلم على أخيه المسلم .

((**ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه**)) قال أهل العلم : لأن المعروف يجعل فيمن صُنع إليه المعروف شيء من الذل أو الرق لمن صنع إليه معروفًا ، يبقى ذلك المعروف له أثره في نفس العبد ، فحتى لا يبقى مثل هذه الأمور يكافئه ، يجتهد على أن يكافئه على المعروف الذي قدَّمه له حتى لا يبقى هذا المعنى في نفسه .

((**فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له**)) إذا كان ليس عند المرء قدرة على مكافئته على معروفه بالمثل أو بالأحسن فليكثِر من الدعاء له .

((**فادعوا له حتى تُروا**)) أي تظنوا أو ((**تَروا**)) أي تعلموا ((**أنكم قد كافأتموه**)) أي أكثِروا له من الدعاء وسؤال الله سبحانه وتعالى ولاسيما "جزاك الله خيرًا" ؛ فإن من قال هذه الكلمة فقد أبلغ في الثناء والدعاء .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

لقوله عليه الصلاة والسلام : ((ومن استعاذ بالله فأعيذوه)) .

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

لقوله صلى الله عليه وسلم : ((من سأل بالله فأعطوه)) ، وعرفنا أن الأمرين كلهما تعظيمًا لله سبحانه وتعالى ؛ أن لا يرد من سأل بالله ومن استعاذ به جل في علاه .

الثالثة: إجابة الدعوة.

لقوله صلوات الله وسلامه عليه ((ومن دعاكم فأجيبوه)). قيل ذلك مختصٌ في الوليمة التي هي وليمة العرس ، وقيل يتناول كل دعوة ما لم يكن فيها منكر ولا يكون فيها مضرة على المدعو .

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

المكافأة على الصنيعة : أي صنيعة المعروف ((من صنع إليكم معروفا فكافئوه)) ، والمكافئة تكون بالمثل أو بالأحسن .

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدِر إلا عليه.

لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له)) ، فالدعاء مكافأة لمن لم يقدر على المكافأة، أما إذا قدِر الإنسان على المكافأة فإنه يكافئ من صنع إليه معروفا بالمثل أو بالأحسن .

السادسة: قوله "حتى تُروا أنكم قد كافأتموه".

في هذا الاجتهاد في الدعاء له حتى يظن المرء أنه قد كافأه باجتهاده بالدعاء له .

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة)) رواه أبو داود.

****

قال رحمه الله تعالى : ((**بابٌ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**)) ؛ وهذا فيه التعظيم لوجه الله سبحانه وتعالى العظيم أن لا يُسأل به إلا أعلى المطالب وأجلّ المقاصد ، وهذا أيضًا من التعظيم لله سبحانه وتعالى لا يُسأل بوجهه إلا أعظم المطالب وأجل المقاصد ؛ فلا يسأل بوجه الله إلا الجنة ، إلا الفوز برضوان الله ، إلا النظر إلى وجهه الكريم، وأيضا ما يقرِّب إلى الجنة ؛كل ذلكم داخل في قوله ((إلا الجنة)) ، «اللهم إني أسلك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل» ؛ فسؤال الله بوجهه الهداية إلى صراطه المستقيم المبلّغ جنات النعيم هذا كله داخل في هذا المعنى ، وكل ذلكم تعظيم لوجه الله سبحانه وتعالى العظيم بأن لا يُسأل بوجهه إلا غاية المطالب . أما مُتع الدنيا الزائلة وأشيائها الفانية لا يليق بالعبد أن يسأل بوجه الله أشياء من هذا القبيل ، وإنما يكون هذا التوسل وهذا الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وسؤاله بوجهه يختص بالمطالب العالية العظيمة ؛ قال: ((باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)).

أورد رحمه الله تعالى حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**)) ؛ وذلك تعظيمًا لوجه الله سبحانه وتعالى أن لا يُسأل به إلا غاية المطالب وأعظم المقاصد: الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، والفوز برضوان الله سبحانه وتعالى ، ولذة النظر إلى وجهه ، أما المطالب الدنيوية وأمور الفانية الزائلة فهذه لا يصلح أن يطلبها العبد أو أن يسألها متوسلًا إليه سبحانه وتعالى بوجهه الكريم .

والحديث تكلم فيه بعض أهل العلم؛ لأن فيه رجل يقال له سليمان ابن قرم ضعَّفه بعض الأئمة ، لكن وثقه الإمام أحمد رحمه الله قال عنه ثقة ، والإمام الذهبي رحمه الله أورده في الرجال الذين أوردهم في كتابه «من تُكلم فيهم بما لا يوجب الرد» ، فوثقه آخرون وأيضا له ما يشهد له مثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم : ((مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ)) أي في المطالب التافهة والأشياء الحقيرة وأمور الدنيا ، لأن هذا فيه ضعف في التعظيم لوجه الله العظيم ، فوجه الله أعظم من أن يكونه يسأل به أمور الدنيا أو متعها الفائية الزائلة .

وفي الحديث دلالة على شرف الجنة قال ((لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة)) ، ولهذا ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح قال : «ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يُسأل بوجه الله غيرها لكفاها شرفًا وفضلا» ثم ساق هذا الحديث .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

وهذا يفيد أنه ليس الأمر مختص بالجنة ، بل الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، الفوز برضوان الله ، رضوان الله أكبر من الجنة ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] ، الفوز بالنظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى .

الثانية: إثبات صفة الوجه.

وهي صفة عظيمة ثابتة لله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والواجب إثباتها ، وهو من صفات الله الذاتية فيثبت الوجه لله على الوجه اللائق بجلاله وكماله وعظمته ، فكما أن له ذاتًا لا تشبه الذوات فوجهه سبحانه وتعالى لا يشبه الوجوه على حد قوله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] .

وقوله «فيه مسائل» ولم يذكر إلا مسألتين مشى على النسق الذي سار عليه في الأبواب ، ويصح في اللغة التعبير عن المثنى بالجمع .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .